الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة

-ضرورة التحيّين الزمانيّ والتكيّيف الثقافيّ-

Linguistic discourse in university courses

The necessity of temporal revival and cultural adaptation -

إسمهان بدّي*	عبد الناصر بوعلي
[1] طالبة دكتوراه، جامعة تلمسان (الجزائر). ismahane.beddi2016@gmail.com 0770.98.05.98	[2] أستاذ التعليم العالي، جامعة تلمسان (الجزائر). bouali13@live.fr 0778.30.26.50
Ismahane Beddi : doctoral student ,Algeria	Abdenaceur bouali: PHD ,professor, Algeria

تاريخ الإرسال: 2020/12/18--تاريخ القبول: 2021/02/02- تاريخ النشر: 2021/12/26

ملخص:

تتأسّس هذه الورقة البحثيّة على فرضيّة مؤدّاها أنّ الخطاب اللسانيّ في الجامعة الجزائريّة صار مطلبًا حضاريًّا مؤسَّسًا لا مندوحة عنه؛ لأنّه يوفّر الفرش النظريّ الذي يتيح معرفةً واعيةً بمتطلّبات البحث اللغويّ العربيّ المعاصر. من ثمّة وجب إيلاء الأهميّة القصوى لمضامين الخطاب اللسانيّ. ولا سيّما لقضيّة تحيّينه؛ ليتناسب من جهة مع الخطاب اللسانيّ العامّ بجوانبه الاجتماعيّة والجغرافيّة والإثنيّة، وبمحتوى الخطاب نفسه، وتطوّر النظريّات التي تؤسّس له؛ إذ إنّ وجود فجوة بين النظريّة اللسانيّة في مظانّها الأصليّة، والغفلة عن منطلقاتها السوسيو ثقافيّة يجعل اتّخاذها منطلقًا لخطابٍ لسانيّ تربويّ مختلفٍ في مناخه وتوجّهاته يؤذن بفشل ذريع.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب اللسانيّ الأكاديميّ؛ الجامعة الجزائريّة؛ التحيّين؛ التكيّيف الاجتماعيّ ؛ الثقافة.

*المؤلف الأول.

Abstract:

This paper is based on the hypothesis that the linguistic discourse at the Algeria University has become an indispensable institutional requirement; because it shed light on the theoretical frameworks that provide a conscious knowledge of the requirements of contemporary Arabic linguistic research. Hence, the importance of the contents of the linguistic discourse, especially the issue of its revival, should be considered to be compatible with the general linguistic discourse in its social, geographical and ethnic aspects, and with the content of the discourse itself and the development of the theories it establishes. The application of specific linguistic theories in a foreign society without a deep awareness of its principles and especially its socio cultural background lead to a major failure.

Key words: academic linguistic discourse; Algerian university; Arabic patrimony; actualisation; social adaptation; culture.

-مقدمة:

يعدّ الخطاب اللسانيّ الموجّه لطلبة الجامعات عاملًا من العوامل الحاسمة التي تسهم في التأسيس للبحث اللسانيّ؛ لأنّه يتمّ في ظلّ ميثاق قائم على الفهم والإفهام، وتبادل وجهات النظر وبذلك توضَع النظريّات اللسانيّة على محكّ التلقّي والتطبيق. غير أنّ الدرس اللسانيّ في الجامعة الجزائريّة لا يزال حبيس أدبيّات التلقين، متغاضيًا في أحايّينَ كثيرةٍ عن المتلقّي وخلفياته المعرفيّة والإيديلوجيّة، وعن الواقع اللغويّ الذي يعيشه المجتمع، فيصبح الفهم أحاديَ الاتّجاه ويصبح التطبيقُ بعيد المنال.

تأسيسًا على هذه المقدّمات يمكن طرح الإشكاليّات الآتي ذكرها: ما هي العوائق التي تقف في وجه تلقٍّ واعٍ وتفاعليّ من لدن الطلبة للمقرّرات الجامعيّة التي تتّخذ مباحث اللسانيّات مضمونًا لها؟ وما السبيل إلى تحيّين هذه المقرّرات زمانيًا وتكيّيفها ثقافيًّا؟

ولأهميّة البحث الميدانيّ في مثل هذه المواضيع فقد عزّزنا هذه الورقة البحثيّة بمنحنى بيانيّ، حاولنا به أن نرصد توجّات البحث الأكاديميّ في جامعة تلمسان ممثّلًا في عناوين أطروحات الدكتوراه لقسم اللغة العربيّة وآدابها للفترة الممتدّة بين سنتَي 1990 و2016.

-1. الخطاب اللسانيّ في الجزائروخصوصيّات التلقيّ:

تتشكّل الرؤية وَفق تمثُّل الرائيّ لها. فلا يمكن بحال فصل البحث عن الذات الباحثة، ولسنا نعني بالذات الباحثة هنا الفرد، بقدر ما نعني التمثّل الجماعيّ للمفاهيم وللتصوّرات المرتبطة بها؛ فبلدان المغرب العربيّ، ونخصّ هنا تونس والمغرب الأقصى والجزائر، استطاعت في الخمسين سنة الماضية أن تؤسّس لأدبيّات بحث لسانيّ أكثر ارتباطًا بالواقع اللغويّ المعيش؛ يظهر ذلك في النزعة التعليميّة عند عبد الرحمن الحاج صالح[2]، وفي اتّخاذ عبد القادر الفاسي الفهري اللغة المنطوقة نموذجًا لأبحاثه[3]، ودراسة اللغة في الاستعمال وفق المنحى الوظيفيّ عند أحمد المتوكّل[4]، والقدرة على محاولة الخروج بالبحث اللسانيّ من أَسر الاتجاه الضاغط الذي تمثّله النظريّات اللسانيّة الكبرى، ومثال ذلك

[2]- يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النحو العلميّ والنحو التعليميّ، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة وحدة الرغاية الجزائر، العدد17 ،جوان2013 ،ص13.

[3]- يُنظر: عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، اللسانيّات واللغة العربيّة: نماذج تركيبيّة ودلاليّة، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1986، ص 54

[4]- يُنظر:أحمد المتوكّل، الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، منشورات الجمعيّة المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب، 1985، ص9

البحث في اللسانيّات النسبيّة عند محمّد الأوراغيّ في مقابل النحو الكلّي لتشومسكي[5]. وما هذا إلّا قليل من كثير مسطّر في مظانّه.

أمّا العامل الحاسم الذي جعل الدرس اللسانيّ المغاربيّ يختلف في منطلقاته ونوازعه عن الخطاب المشرقيّ فهو بلا شك الفرونكفونيّة التي تعلن عن نفسها باستمرار في تداخل أو تلاهج مع اللغة العربيّة، ممّا يتطلّب إلمامًا بواقعٍ لغويّ عسيرٍ على الفهم. لا بدّ له من مرجعيّة نظريّة تؤسّس لفهمه، وللتعامل معه. فضلا عن التفاعلات الإثنيّة التي تتطلّب الاستعانة باللسانيّات الجغرافيّة وإعداد الأطالس اللغويّة بغية الوصول إلى فهم واعٍ ورصين لملابسات الوضع اللغويّ الراهن، وعيٌ قائم على فهم الذات في علاقتها بالآخر وبالعالم و وتَوقها إلى الاتصال بالحضارات الإنسانية الأخرى والتفاعل معها دون التخلي عن خصوصياتها الثقافية[6]. ومن هذه المنطلقات يبدو أنّ الخطاب اللسانيّ الجامعيّ سيكون بالضرورة أقرب إلى واقع العربيّة في المجتمع الجزائريّ غير أنّ الناظر فيما كُتب ويُكتب لا يلمح تلك الخصوصيّة المبتغاة.

-1-1. واقع الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة وعوائق التلقّي:

-1-2. واقع الخطاب اللسانيّ في المقرّرات الجامعيّة :

يتطلّب الإلمام بمضامين الخطاب اللسانيّ وتوجّهاته في الجامعة الجزائريّة اطّلاعًا شاملًا ومفصّلًا على المقرّرات الجامعيّة، وهذا من العسير، غير أنّ رصد العناوين العريضة التي تعلن عنها الجامعات في

[5]- يُنظر:محمّد الأوراغيّ: الوسائط اللغويّة، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربيّة، ط1، 2001، ص11-12

[6]- نادر سراج، تجاذبات اللغة والثقافة والانتماء، مجلة التسامح، العدد5، (2004). ص68 http://tasamoh.om/index.php/nums/view/6/90

مواقعها الالكترونيّة يعلن عن انفتاح لسانيّ على مختلِف النظريّات اللسانيّة الكبرى.

غير أنّ المعنيّين بهذه المقرّرات من أساتذة وطلبة يشكون عند تعاملهم مع مضامينها تنظيرًا وتطبيقًا داءً لا يستطيعون تشخيصه، ويكادون يتّفقون على وجود أزمة في تمثّل هذا العلم وتدريسه "وتتمثّل هذه الأزمة في مجالاته النظريّة، والمنهج والموضوعات البحثيّة، والجوانب المؤسّسة المتّصلة بأقسام تدريس اللسانيّات، وبالأستاذ، وبتدريب الطلّاب"[7]، ويذهبون أبعد من ذلك حين يذعنون للهامشيّة التي تُعامل بها اللسانيّات في المقرّرات الجامعيّة مقارنة بالمباحث التراثيّة التليدة مثلًا.[8] وهو أمر يُظهر ذلك التناقض الصارخ بين واقع البحث اللسانيّ العربيّ ونظيره في الغرب.

بيد أنّ الإجماع على وجود أزمة في البحث اللسانيّ العربيّ لا يوازيه تصوّر واضح لطبيعتها ومسبّباتها، ومن ثم إمكانيّة اقتراح حلول ناجعة لتجاوزها.[9] ممّا يستدعي النظر في عوائق التلقّي لأنّها من أكثر العوامل إسهامًا في هذا الوضع.

-3.1. عوائق التلقيّ:

لازال يُشار إلى اللسانيّات بالعلم الوافد، أو علم اللغة الحديث، ممّا يقتضي وفق مبدأ المخالفة وجود علم قارّ وقديم. وذلك يثير عند المتلقّي العربيّ، بحكم عوامل عديدة أهمّها الماضي الكولونيالي، شعورًا بالخوف

[7]- أحمد محمود عشاري، أزمة اللسانيّات في العالم العربيّ، ص9، نقلا عن:حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009، ص57.

[8]- أحمد محمود عشاري، أزمة اللسانيّات في العالم العربيّ، ص9، نقلا عن:حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص57

[9]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص57

يؤدّي إلى تفعيل ميكانيزمات دفاعيّة تعيق الفهم الصحيح والتمثّل الإيجابيّ والمثمر للنظريّات اللسانيّة.

ويمكن التميّيز في عوائق البحث اللسانيّ في الثقافة العربيّة الحديثة بين نوعَين اثنين من العوائق[10]:

- العوائق الموضوعيّة ذات أبعاد نفسيّة حضاريّة؛
- العوائق الذاتيّة المرتبطة بطبيعة البحث اللسانيّ في الثقافة العربيّة.

-1-4.العوائق النفسيّة والمتخيَّل الجمعيّ:

لعلّ من أبرز تجلّيات هذا الصنف من العوائق صورة الغرب في المتخيَّل العربيّ، وهي صورة زكّاها حضور بعض الأعراف اللغويّة المترسّخة في الثقافة العربيّة.[11] وصعوبة تحديد الذات في علاقتها بالآخر[12]. فعلاقتنا بالغرب قائمة على تبادل المواقع؛ فكلّ أخذٍ عنه أو استعظام لإنتاجه الفكريّ حكمٌ بالضياع على ثقافتنا واستمرارٌ لحصارها. وهذا كفيل برفض كلّ ما هو غربيّ رفضًا مطلقًا[13].

ونجد كتبًا نذرها أصحابها لنبذ مبادئ اللسانيّات، وتجاوزها، وتركيز سلطة القديم وتأكيدها[14]، وكثير منها يفتقر إلى شرط التراكم في العلم؛ إذ يقوم على النفي والإقصاء[15].

[10]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص 62-63

[11]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص63

[12]- المرجع نفسه، ص 64

[13]- المرجع نفسه، ص66

[14]- المرجع نفسه، ص124

[15]- يُنظر: المرجع نفسه، ص125-127

وذلك وغيره يخلق صورة مشوّشة عند المتلقّي العربيّ، ولا سيّما الطالب الجامعيّ الذي لديه فرص متاحة للاطلاع على كلّ ما قيل ويُقال في هذه القضيّة، ولا نغفل هنا توجّهات الأستاذ وما قد يصبغه على المادّة العلميّة من أحكام ذاتيّة بحكم توجّهه وثقافته وتكوينه. وهذه الهواجس غذّاها بحث من أدبياته الموضوعيّة والمنهج العلميّ الصارم، وهو البحث في علاقة التراث العربيّ باللسانيّات، غير أنّ كثيرًا من هذه الأبحاث خلقت إشكالات منهجيّة ومعرفيّة عويصة لدى المتلقّي.

من ذلك التداخل الحاصل بين اللسانيّات بوصفه علمًا قائمًا بذاته له مرجعيّاته الابستيمولوجيّة ووسائله الإجرائيّة، والمحتوى التراثيّ اللغويّ عند العرب الذي درس اللغة وتعرّض إلى جوانب عديدة منها لأنّ مبتغاه كان فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه من إعجاز لغويّ وبيانيّ، ولا غرو أن تُدرس هذه المباحث وتدرّس ولكن في سياقها الذي ولدت ونشأت فيه. نلحظ رغبة ملحّة عند غير ما باحث في ربط المنجز اللسانيّ الحديث بجذور تراثيّة، وهي رؤية ذاتيّة تكيّفها الخلفيّة المعرفيّة للباحث. أمّا أن يصل الأمر إلى إسباغ صفة النظريّات على الجهود اللغويّة التراثيّة وتدريسها في الجامعة الجزائريّة على أنّها"مدارس لسانيّة" فهذا فيه من الشطط ما فيه، شطط لا يقبله البحث العلمي الرصين بل فيه مغالطات من شأنها أن تحدث ارتباكًا عن الدارسين على اختلاف مشاربهم حيث يتجاذبهم قطبان متنافران الأوّل يميل نحو التراث وينظر إليه بعين التقديس والآخر يجنح نحو البحث اللسانيّ الغربيّ بمنطلقاته وإجرائيّته الصارمة.

- **جهود اللغويّين القدامى بمسمّى المدارس اللسانيّة:**

الناظر في برنامج السنة الأولى ماستر في تخصّص اللسانيّات التطبيقيّة بالجامعات الجزائريّة وبجامعة تلمسان على سبيل التوثيق، وتحديدًا في مقرّرات السداسي الثالث يلحظ أمرًا لافتًا وهو إدراج الجهود اللغويّة التراثيّة بمسمّى المدارس اللسانيّة، ولا يخفى ما يحمله مصطلح"المدرسة" من زخم تأسيسيّ نظريّ وإجرائيّ فضلًا على أنّ اللسانيّات التطبيقيّة مبحث دقيق في اللسانيّات لعنايته بكيفيّة اكتساب اللغة والأداء الكلاميّ والعمليّات العقليّة المرتبطة بذلك، وحوسبة اللغة وأمراض الكلام وغير ذلك ممّا لا يدع مجالًا للحدس أوالعاطفة أو لتوجّهات يحكمها النظر الجزئيّ الذي ينظر إلى التراث بعين الولاء، ويحاول أن يجد فيه منطلقات لكلّ ما هو حديث بتحميل الجهود التراثيّة والنصوص المتعلّقة بها ما لا تطيق.

وقد جاء البرنامج الخاص بمقياس اللسانيّات التطبيقيّة على النحو المبيّن أدناه[16]:

[16] : https://faclettre.univ-tlemcen.dz/assets/uploads/DOCUMENTS/ETUDIANTS/1 ماستر - pgm.pdf

عنوان المحاضر: لسانيات تطبيقية
السداسي: الثالث
اسم الوحدة: الأساسية
اسم المادة: المدارس اللسانية (محاضرة+أعمال موجهة)
الرصيد: 05
المعامل: 03
أهداف التعليم:
المعارف المسبقة المطلوبة :
محتوى المادة:

وحدة التعليم الأساسية	مادة: المدارس اللسانية	المعامل: 03	الرصيد: 05

رقم	مقررات المحاضرة	مقررات الأعمال الموجهة
01	الاستلزام الحواري	المعنى المستلزم مقاميا
02	المدرسة الخليلية 1	الخليل بن أحمد
03	المدرسة الخليلية 2	عبد الرحمن حاج صالح
04	المدرسة الخليلية 3	المفاهيم الأساسية للمدرسة الخليلية
05	المدرسة الخليلية 4	المفاهيم الأساسية للمدرسة
06	الجاحظ ومدرسة البيان 1	الجاحظ
07	الجاحظ ومدرسة البيان 2	فصاحة الكلمة
08	الجرجاني ومدرسة النظم 1	الجرجاني ونظرية الإعجاز
09	الجرجاني ومدرسة النظم 2	النظم والمعنى النحوي
10	الجرجاني ومدرسة النظم 3	النظم والأسلوب
11	السكاكي ومدرسة البلاغة 1	السكاكي
12	السكاكي ومدرسة البلاغة 2	السياق ومقتضى الحال
13	المدارس اللسانية العربية1	مفهومها وأهم الأفكار التي دافت بها
14	المدارس اللسانية العربية2	روادها

مقياس المدارس اللسانيّة ضمن الوحدة الأساسيّة للتعلّم المنوط بها تقديم المعارف التي تعدّ ركائز التكوين المعرفيّ للطالب، ومع ذلك نلحظ حشدًا للجهود اللغويّة التراثيّة في النحو والمعاني، فضلًا عمّا يعرف بالمدرسة الخليليّة الحديثة لمؤسّسها عبد الرحمن حاج صالح، ومن باب الموضوعيّة القول إنّ هذه المباحث على قدر عال من الأهميّة ولكن ليس فيها المقام ولا في هذا المسار ولا بهذه الطريقة التي تجعل الطالب لا يستوعب مضامينها أو ما أضافته إلى البحث اللغويّ إنّما يقع في فخّ الحشو دون استيعاب ودون تمثّل لأهداف هذه الجهود ومقاصدها بدءًا من عنوان "المدارس اللسانيّة" الذي يحيل ظاهره إلى بناء معرفيّ له

مرجعياته ومصطلحاته ووسائله الإجرائيّة وهذا ملا يمكن تحديده بدقّة في هذه الجهود التي كيّفتها ظروف غير تلك التي كيّفت البحث اللسانيّ الحديث بمدارسه المعروفة.

ثقافة الولاء مازالت مسيطرة على مفاصل البحث اللسانيّ العربيّ، ويظهر ذلك بالمقرّرات الجامعيّة سافرًا وفي البحوث الأكاديميّة ولا يكاد يسلم منه إلّا القلّة القليلة وإن كانت لا تجاهر بذلك إلّا نادرًا حينما تأمن العتاب. والفلسفة الكامنة وراء ذلك هو الرغبة في بناء نسق لسانيّ عربيّ يمتدّ من التراث إلى أن يلامس الواقع اللغويّ المعيش ويتّخذ لنفسه ركائز معرفيّة ووسائل إجرائيّة تتناسب مع طبيعة اللغة العربيّة وارتباطها الوثيق بالدين الإسلاميّ وبروافد الثقافة العربيّة الإسلاميّة، بعيدًا عمّا يبدو لعيديد الدارسين تغريبًا يمسّ بكيان اللغة العربيّة، وأمام ضرورة الوصول إى رؤيا للسانيّات توفيقيّة :"تتبنّى انموذجًا وصفيًّا يمزج المقولات النظريّة الغربيّة الحديثة بمقولات نظريّة النحو العربيّ"[17] فإن لم يتحقّق ذلك وجد اللسانيّون العرب أنفسهم أمام اتجاهين إمّا بناء نظر لسانيّ ذي أسس تراثيّة قائم عل الفهم الصحيح للغة بوصفها ظاهرة عالميّة بعيدًا عن طقوس التقديس ولإمّا إعلان القطيعة التامّة مع التراث القديم وإعمال الوسائل الإجرائيّة للسانيّات الحديثة في اللغة العربيّة، غير أنّ هذا الأمر الثاني فيه تهديد للثقافة العربيّة الإسلاميّة[18] بالنظر إلى أنّ اللغة وعاء الفكر وترجمان ثقافة الأمّة الناطقة بها.

[17]- محمود السعران، علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الفكر العربيّ، الطبعة2، القاهرة، مصر، 1997، ص18.

[18]- يُنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-1-5.العوائق المنهجيّة وأزمة لسانيّات التراث:

ينكشف عند التأمّل في المنجَز اللسانيّ عند الدارسين العرب أنّه قائم على «فهم عامّ لمضامين النظريّة اللسانيّة، وإدراك غير واضح لها بسبب تداولهم إيّاها تداولًا حدسيًّا وتلقائيًّا متناسين في حالات عديدة مصادرها الفكريّة، والأسس النظريّة والمنهجيّة التي تقوم عليها... إنّ المفاهيم اللسانيّة الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجيّة على جانب كبير من التعقيد باعتبارها جزءًا من شبكة من الإشكالات المتداخلة»[19]، واتّخاذ هذه المفاهيم والتصوّرات في حواريّة متكافئة الأطراف مع التراث، يستوجب استحضار المفاهيم التي وجّهت التفكير اللغويّ العربيّ في المسار الذي سار فيه بكلّ ملابساته وأبعاده[20]، فالمقاربات التي تتّخذ المناهج الحديثة معيارًا تُقاس به المفاهيم التراثيّة «أقرب ما تكون إلى العمل الفيلولوجيّ من حيث إنّها تضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة». وحين تُفقد الوسائل الإجرائيّة الملائمة تصبح المفاهيم التراثيّة خاضعة لإرادة الشارح[21].

فلسانيّات التراث تصرّح بأهدافها من القراءة، والمتمثّلة في التقريب بين التراث اللغويّ العربيّ واللسانيّات، وهذا ما يظهر من عناوينها وخطاب مقدّماتها[22]، غير أنّها تتّخذ اللسانيّات أصلًا اعتباريًّا، وبذلك تكون القراءة في لسانيّات التراث قائمة على نوع من الجذب الأصوليّ يكون المجذوب فيه

[19]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة ، ص28

[20]- مصطفى غلفان: ‹اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة› منشورات كليّة الآداب، المغرب، دط، 1998، ص54

[21]- مصطفى غلفان: ‹اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة› منشورات كليّة الآداب، المغرب، دط، 1998، ص156.

[22]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص184.

هو التراث اللغويّ العربيّ والمجذوب إليه هو اللسانيّات[23]، وتكون المماثلة التي تكشف عنها لسانيّات التراث قائمة على التأويل المفرط وليّ أعناق النصوص.[24]

وبذلك يُقاس الثابت بالمتغيّر؛ فلا غروَ أن نجد عبد القاهر الجرجانيّ مثلًا بنيويًّا مرّة ووظيفيًّا مرّة وتداوليًّا حينًا آخر. وأنّ العامل في العربيّة مفهوم فلسفيّ لا بدّ من إلغائه ثم يصبح معطًى لسانيًّا تراثيًّا أصيلًا حين يؤسّس تشومسكي للربط العامليّ، وأمثلة ذلك كثيرة. تجعل المتلقّي العربيّ والطالب الجامعيّ بخاصّة يشعر أنّه يقف على أرض هشّة، وأنّ كلّ ما يكدّ ذهنه في فهمه وتحصيله معرَّض إلى أن تهبّ عليه رياحٌ تجثتّه من أصله.

لأنّ إعمال المفاهيم اللسانيّة في التراث يكاد يكون أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حدّ ذاتها، وإدراكها في مصادرها أو نشرها بلسان غير اللسان الذي اكتُشفت فيه؛ لأنّ إخراجها من سياقها الحضاريّ الأصليّ، وإعمالها في سياق مغاير يتطلّب تكيّيفها تكيّيفًا قد يحيد بها عن مفاهيمها وغاياتها الأصليّة[25].

أكّد كثير من الباحثين، في ظلّ هذا التفكّك القائم، على ضرورة إقامة بحث لسانيّ مستمدّ من اللغة العربيّة. دون إلغاء للنظريّات اللسانيّة الحديثة، التي توفّر وسائل إجرائيّة وأدوات تفسيريّة، قادرة إن أعملت بشكل صحيح وواع على تقديم فهم أفضل للبحث اللغويّ العربيّ. غير أنّ هذا الطرح تكتنفه ملابسات وإشكالات جمّة، خصّها مصطفى

[23]- المرجع نفسه ، ص184.

[24]- المرجع نفسه، ص185

[25]- يُنظر: عز الدين مجدوب: المنوال النحويّ العربيّ (قراءة لسانيّة جديدة)، دار محمّد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1998، ص 42

غلفان بالبحث والتمحيص في كتابه "اللسانيات العربية الحديثة"، إذ يرى بأنّ أزمة اللسانيات العربية هي" أزمة أسس ، وأزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالًا معرفيًّا معيَّنا وتحدّد معالمه ، إما لعدم وضوحها بشكل كاف وإما لكون التراكم المعرفي المتوفر في هذا المجال قد وصل إلى طريق مسدود ما يتطلب إعادة النظر في الأسس، والمبادئ العامة[26]

-1-6.التحيّين الزمانيّ وأزمة اللسانيّات التمهيديّة:

الدراسات اللسانيّة في تجدّد مستمرّ؛ إذ إنّ البحث اللسانيّ عند الغرب وصل درجة من التراكميّة تسمح بالتأسيس لمفاهيم جديدة وتطوير مفاهيم موجودة، غير أنّ عددا من اللسانيّين العرب يظهر من كتاباتهم عدم مواكبتهم لما يطرأ على الدرس اللسانيّ من تطوّرات نظريّة هامّة "اتّضح ذلك مثلا في الندوة التي عقدتها منظّمة اليونسكو بالرباط سنة 1987، حول "تطوّر اللسانيّات في البلدان العربيّة"؛ حيث إنّ كثيرًا من اللسانيّين العرب المشاركين في هذه الندوة لم يتمكّنوا من متابعة بعض البحوث اللسانيّة لاسيّما بحوث المغاربة. وللإشارة فإنّ المشاركين في هذه الندوة يعدّون من صفوة اللغويّين العرب المحدثين وأكثرهم تأليفًا"[27].

ويظهر عدم التحيّين في التغيّيب الواضح لنظريّة لسانيّة جديدة تتمثّل في الهندسة اللغوية الذهنية، و المعروفة حاليًّا بمصطلح أكثر اختصارا يترجمه بعض الباحثين بالتوليفيّة.

[26]- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة (دراسة نقدية في الأسس النظرية و المنهجية)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، دط، 1998، ص20.

[27]- نفس المرجع، ص40.

غير أنّ ما يضع الخطاب اللسانيّ الموجَّه إلى طلبة الجامعات في مأزق حقيقيّ هي بعض المؤلّفات المعتمدَة في اللسانيّات التمهيديّة والتي تظهر عجزًا واضحًا عن مسايرة مستجدّات البحث اللسانيّ[28].

فعددٌ لا يستهان به من مؤلّفي هذا النمط من الكتابة يردّدون الكثير من مبادئ الدرس اللسانيّ التي تجاوزها الزمن منذ أمد بعيد[29]. وكتب اللسانيّات التمهيديّة هي المؤلّفات المعتمدة في التدريس الجامعيّ بامتياز، ممّا يجعل كلًّا من الطالب والأستاذ أمام كتابة لسانيّة قائمة على التبسيط،"تعد القارئ المبتدئ بمنحه المفاتيح التي تمكّنه من فكّ مستغلقات اللسانيّات، وتمكينه من مبادئها، وهذا ما تنطق به عناوينها وخطابات مقدّماتها. غير أنّ ما يعبّر عنه متن بعض هذه الكتابات يبقى، في غالبيته، مغايرًا بل مناقضًا لتلك الأهداف المعلنة، وهذا يخلق فجوة بين ما يحفّز المتلقّي على القراءة وبين ما يقرأه فعلًا"[30].

وتختلف الكتابات التمهيديّة في منطلقاتها النظريّة والمنهجيّة، وأغلب ما بأيدينا اليوم كتابات تمهيديّة يهيمن عليها الاتجاه الوصفيّ الذي كان سائدًا زمن تأليفها، والاتّجاه البنيويّ الذي يظهر في أحد أهمّ الكتب العربيّة الحديثة وهو "علم الدلالة" لصاحبه أحمد مختار عمر، والذي أشار غير ما مرّة إلى رغبته في تحيّين مضامينه ليواكب ما استجدّ في البحث اللسانيّ إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق إلى يومنا هذا[31]. ومن المآخذ المنهجيّة على بعض من كتب اللسانيّات التمهيديّة شحنها بإشكالات عويصة من نحو أزمة المصطلح اللسانيّ الذي يعدّ مبحثًا شائكًا في

[28]- المرجع نفسه ،ص118.

[29]- المرجع نفسه، ص119.

[30]- حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص122،ص123.

[31] حافظ إسماعيليّ علويّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص122.

اللسانيّات العربيّة[32]، وأن يعمد مؤلّفوها، بدافع التأصيل، إلى المقارنة بين التراث اللغويّ العربيّ ومبادئ الدرس اللسانيّ الحديث، وهي مقارنة لا تخلو من تعسّف وإفراط في التأويل لأنّها تتجاهل الأصول الابستمولوجيّة لكل علم[33].

من عناوين كتب اللسانيّات التمهيديّة[34]:

- علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي
- علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربيّ لمحمود السعران
- الألسنيّة (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام لميشال زكريا
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه لرمضان عبد التوّاب
- مدخل إلى علم اللغة لمحمود فهمي حجازي

وتظلّ كتب اللسانيّات التمهيديّة من المراجع التي لا غنى للأستاذ والطالب عنها، وإنّما وجب على كليهما التعامل معها بحرص وبذهن ناقد.

وممّا لا ريب فيه أنّ الطالب الجامعيّ عليه أن يوسّع أفق اطّلاعه، وألّا يكتفي بما كتب باللغة العربيّة في ميدان اللسانيّات والمباحث المتعلّقة بها، وإنّما عليه الرجوع إلى المعلومة اللسانيّة في مظانّها الأصليّة لعدم توفّر الترجمة أو لقصورها في بعض الأحيان عن أداء المعنى المراد. وهناك مباحث تندر الترجمة فيها من نحو اللسانيات الحاسوبية.

[32] المرجع نفسه، ص123.

[33] المرجع نفسه، ص 102.

[34] يُنظر: وليد احمد العناتي، اللسانيات الحاسوبية العربية:المفهوم،التطبيقات،الجدوى .مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، مج7-ع 2 -2005، ص 61-81.

الخاتمة:

إن كان الغرض من تدريس اللسانيّات هو تقديم فرش نظريّ يسهم في تطبيق أفضل للوسائل الإجرائيّة والأدوات التفسيريّة، التي تقدّمها النظريات اللسانيّة الحديثة للتعامل مع الواقع اللغويّ وفهمه. فأنّ الواقع يظهر ميلًا كبيرًا عند الباحثين الأكاديميّين نحو لسانيّات التراث في محاولة لاستنطاق النصوص التراثيّة لسانيًّا، ممّا غيّب البحث اللسانيّ القائم على النظر في واقع اللغة العربيّة ومحاولة إيجاد جهاز تفسيري خاصّ بها. وهذا الخلل عائد في المقام الأوّل إلى نقص الاهتمام بتحيّين المقرّرات الجامعيّة في حقل اللسانيّات وتكيّيفها وفق الوضع الزمني والحضاريّ للمتلقّي.

الطالب الجامعيّ يحتاج إلى أن يفهم النظريّات اللسانيّة وتطبيقاتها فهمًا واعيًا ليسهم في حلّ كثير من المشكلات اللغويّة في واقعه، من نحو التعامل مع الواقع اللهجيّ المعقّد، والقدرة على استثمار نتائج البحث اللسانيّ في التعليم. وفهم الذات في علاقتها بالآخر فهمًا بعيدًا عن الأحكام القيميّة وغير الموضوعيّة.

ومهما قيل ويُقال عن اللسانيّات وطرائق تدريسها في الجامعة الجزائريّة فإنّ المقرّرات والقائمين عليها ذوو كفاءة لا ينكرها إلّا جاحد، غير أنّ الطالب ملزَم بالاطّلاع والبحث ليؤسّس لمعارفه بنفسه، ويعمّقها، وهذا ما وُجد النظام الجديد لأجله.

****قائمة المصادر والمراجع:**

الكتب:

1-الأوراغيّ محمّد: الوسائط اللغويّة، دار الأمان للنشر والتوزيع، المملكة المغربيّة، ط 1، 2000.

2-الحاج صالح عبد الرحمن ، النحو العلميّ والنحو التعليميّ، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة وحدة الرغاية الجزائر، العدد17،جوان2013

3-سراج نادر ، تجاذبات اللغة والثقافة والانتماء، مجلة التسامح، العدد5، (2004).

4-محمود السعران، علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الفكر العربيّ، مصر، ط1997،2

5-علويّ إسماعيليّ: اللسانيّات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2009.

6-العناتي أحمد وليد ، اللسانيات الحاسوبية العربية:المفهوم،التطبيقات،الجدوى .مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، مج7-ع 2 -2005

7-غلفان مصطفى: اللسانيات العربيّة الحديثة دراسة نقديّة في الأسس النظريّة والمنهجيّة، دط منشورات كليّة الآداب، المغرب،، 1998

8-الفاسيّ الفهريّ عبد القادر ، اللسانيّات واللغة العربيّة: نماذج تركيبيّة ودلاليّة، منشورات عويدات، ط1، لبنان، ، 1986.

9-المتوكّل أحمد ، الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة،[د.ط]، منشورات الجمعيّة المغربيّة للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، المغرب، 1985.

10- مجدوب عز الدين: المنوال النحويّ العربيّ (قراءة لسانيّة جديدة)، دار محمّد علي الحامي للنشر والتوزيع، ط1 ،تونس ، 1998.

المواقع:

1. http://tasamoh.om/index.php/nums/view/6/90
2. https://faclettre.univ-tlemcen.dz/assets/uploads / DOCUMENTS/ ETUDIANTS /1 ماستر -pgm.pdf.